ARID Journals

ARID International Journal of Social Sciences and
Humanities (AIJSSH)

Journal home page: <http://arid.my/j/aijssh>

مَجَلَّةُ أُرِيدَ الدَّوْلِيَّةُ لِلْعُلُومِ الْإِنْسَانِيَّةِ وَالْإِجْتِمَاعِيَّةِ

المجلد الثاني، العدد الرابع، تموز 2020 م

**Naguib Mahfouz and Bajin trilogy
comparative study**

MI GUANGLI

Sultan Abdul Halim Muadzam Shah International- Islamic University- KEDAH-MALAYSIA

ثلاثية نجيب محفوظ وباجين

دراسة موازنة

عماد الدين بن محمد

كلية اللغة العربية - جامعة السلطان عبد الحليم معظم شاه الإسلامية العالمية - قدح دار الأمان - ماليزيا

arid.my/0005-4252

274339816@qq.com

<https://doi.org/10.36772/arid.aijssh.2020.246>

ARTICLE INFO

Article history:

Received 20/12/2019

Received in revised form 25/01/2020

Accepted 11/3/2020

Available online 15/07/2020

<https://doi.org/10.36772/arid.aijssh.2020.246>

ABSTRACT

This research includes a descriptive and analytical study of the intellectual and artistic contents in Naguib Mahfouz and Bajin trilogy, and aims to clarify the relationship between the novel of Egypt and China, and the art of the novel between the literature in their trilogy on culture, civilization, tradition, customs, etc. The study aimed to focus on bringing the two different cultures around description to embody the value of literature and the importance of the novel. The research problem is focused on knowledge of the novel and its position in the contemporary era and description at Naguib Mahfouz and Bajin in their trilogy and issues that reflect each of them and emerge in describing the traditional family life in their trilogy with similarities and differences between them in the description under the two different environments about culture, traditions, customs and family life. The researcher has followed the descriptive and comparative approach between the Naguib Mahfouz Bagin trilogy, and this research in the field of literature contributes to knowing the similarity points and the difference in their tripartite. The age through their narration. Where it depicted a reflection of the reality of living in Egypt and China in that era, as the novels revealed the creativity of the writers in terms of accuracy of photography dealing with important topics in society and expressing aspirations and hopes among the novelists. The researcher recommends science students to pay attention to studying what Commented customs and traditions shared between the Arabs and China from various aspects of scientific institutions .oausi researcher developed a series of scientific studies that mention or different relationships of Like between the Arabs and China in various fields.

Key words: Chinese and Arabic literature, budget

الملخص

يتضمن هذا البحث دراسة وصفية تحليلية للمضامين الفكرية والفنية في ثلاثية نجيب محفوظ وباجين، ويهدف إلى إيضاح العلاقة بين رواية مصر والصين، وفن الرواية بين الأدبيين في ثلاثيتهما حول الثقافة والحضارة والتقليد والعادات الخ . هدفت الدراسة إلى التركيز على جمع الثقافتين المختلفتين حول الوصف لتجسد قيمة الأدب وأهمية الرواية . وتتركز مشكلة البحث في معرفة الرواية ومكانتها في العصر المعاصر والوصف عند نجيب محفوظ وباجين في ثلاثيتهما والقضايا التي تعكس كل منهما وتبرز في وصف الحياة الأسرية التقليدية في ثلاثيتهما مع التشابه والاختلاف بينهما في الوصف تحت البيئتين المختلفتين حول الثقافة والتقاليد والعادات وحياة الأسرة. ولقد اتبع الباحث المنهج الوصفي والمقارنة بين ثلاثية نجيب محفوظ وباجين، ويسهم هذا البحث في مجال الأدب بمعرفة نقاط التشابه والاختلاف في ثلاثيتهما. وقد خلص البحث إلى النتائج منها : من خلال استعراض نتائج ثلاثيتي نجيب محفوظ وباجين، اتضح أنهما عملا على استنباط أفكار جديدة في هذا العصر. إذ كانت تصور انعكاسا للواقع المعاش في مصر والصين في ذلك العصر، كما كشفت الروايات عن القدرة الإبداعية لدى الكاتبين من حيث دقة التصوير تناول موضوعات مهمة في المجتمع والتعبير عن الطموحات والأمال لدى الروائيين . يوصى الباحث طلبة العلم الاهتمام بدراسة ما يتعلق بالعادات والتقاليد المشتركة بين العرب والصين من نواحي متعددة . ويوصي الباحث المؤسسات العلمية بوضع سلسلة علمية لتلك الدراسات التي تذكر العلاقات المتشابهة أو المختلفة بين العرب والصين في شتى المجالات .

الكلمات المفتاحية : الأدب الصيني والعربية، الموازنة

المقدمة

نجيب محفوظ وباجين أديبان وكاتبان مشهوران عند العرب والصين في كتابة الرواية تتعلق ثلاثيتهما بالحياة أي بحياة الأسرة. ووصف الكاتبان قصة جميلة تحدث في الأسرة، والشخصيات المركزية . ثلاثية نجيب محفوظ تعدّ أولى الروايات التي تميزت بتسلسل وتتابع أجزائها تشتمل على كثير من الخصائص التي تميزها عن غيرها؛ فقد استطاع نجيب محفوظ أن يصف حياة الأجيال بأكملها ويحيي بكلماته شخصيات وأحداث وأزمنة وأمكنة تعكس واقع بيئته لما تترصد الرواية من سلوكيات المجتمع المصري والمجتمع العربي. وكان نجيب محفوظ يقول "أنا أعيش في نفس الوقت الذي أعيش فيه الناس، ولا أكتبها وإنما أكتب عن الناس". [1] أهم الخصائص الفنية في أدب نجيب محفوظ أنه يعتمد على الحوار، والحوار هو وسيلة أساسية في التصوير والتعبير عن كل طبقة من الطبقات الاجتماعية. وثلاثية باجين هي تحفة خالدة في مجال الأدب الصيني الحديث، إنها مثل سيل لا نهاية لها من المنحدرات ولها قيمتها الفنية العالية، ثلاثية باجين تعكس الخصائص الفنية الخاصة في اللغة والحوار والتعبير، المؤلف يستخدم عواطف قوية سواء في وصف الشخصيات والسرد وتحليل المشاعر النفسية، ويجعل القارئ يرى مصير كل شخصية في الرواية ومع ذلك يشعر بمشاعر المؤلف في مجال وصف تفاصيل الحياة بأسلوب منمق، وتعمل مع قوة فنية مثيرة للإعجاب بشكل خاص .

ثلاثية نجيب محفوظ وباجين والقضايا التي تعكسها كل مهما

المبحث الأول : ثلاثية نجيب محفوظ والقضايا التي تتضمنها

رواية نجيب محفوظ الشهيرة الثلاثية "بين القصرين" و"قصر الشوق" و"السكينة" تناولت سقوط مجتمع ما قبل الثورة، وهي سيرة ثلاثة أجيال من عائلة واحدة، جيل ما قبل ثورة 1919 وجيل الثورة، والجيل التالي لها، وانتهى من كتابتها عام 1952 ونشرت عام 1956 .

عوامل الثلاثية هي عوالم واقعية، وتمثل الواقعية الاجتماعية والثقافية، وهي واقعة ظرفية تكونت على مدى زمن الثقافة كله، وصارت نموذجا تحتذيه الصيغ الثقافية كلها من الطاغية السياسي إلى المعلم والأب والفتوات في الحارة والمجتمع. وهي سجل اجتماعي تاريخي ، اتخذ شكل السرد الروائي وسيلة لبلوغ أهدافه، الثلاثية ليست رواية بمعنى المفهوم؛ لأنها جملة قصص في قصة واحدة، وهذا يسلبها الشكل الفني المتسق ويضعف من تأثيرها الفكري والفني على القراء. ثلاثية نجيب محفوظ خُلِقَ فني قائم بذاته، بصرف النظر عن مدى مطابقته للواقع الحي الذي استمد منه المؤلف مواد روايته، له قيمة كبرى كرواية، إن حوادث وأشخاص كاللتي نجدها في الثلاثية ما كان يمكن أن تجد لها مكانا في الحقبة التاريخية التي تتخذها الرواية موضوعا ومسرحا في وقت واحد. باختصار إن الثلاثية هي أعظم عمل أدبي قام بها نجيب محفوظ في الأدب العربي في العصر الحديث،

فقد أبدع في تصوير حياة ثلاثة أجيال في مصر، وهي جيل ما قبل ثورة 1919م وجيل الثورة، وجيل ما بعد الثورة. فإن حياة هذه الأجيال التي تنتمي إلى الطبقة المتوسطة من خلال قلم وفكر وإبداع نجيب محفوظ، فنقل الصورة الحقيقة لأفكارهم ومواقفهم من المرأة والعدالة الاجتماعية والقضايا الوطنية، فضلا عن الصورة التي قدمها عن عادات وتقاليد وثقافة هذه الأجيال. وقال نجيب محفوظ: "في الحقيقة إن فكرة الثلاثية جاءتني على دفعات أستطيع تحديد اللحظات الأولى، كنت أقرأ في كتاب عن أجرومية الرواية، في الواقع أنا قرأت العديد من الكتب عن فن الرواية، أول ما تعرض له هذا الكتاب الرواية التي يسمونها رواية الأجيال، أو رواية الزمان التي تعرض أجيالا عديدة متوالية، أعجبنى الشكل، ضرورة أن أكتب رواية من هذا النوع، ولكنني ترددت مثل هذه الرواية في حاجة إلى تمرين طويل، وتفرغ كامل، يعني إذا كان لدي مشروع رواية أفرغ منه أولا. تحدثت كثيرا عن هذا النوع من الروايات، وأفضت في شرح أفكار، ونيتي كتابتها يوما ما". [1] وتحكي الثلاثية تاريخ أسرة قاهرية متوسطة الحال من بداية القرن العشرين حتى الأربعينيات وما يحدث لهم من تغييرات لكل واحد منهم خلال هذه الفترة، وتعيش هذه الأسرة في حي الحسين، وهو حي شعبي من طراز فريد يمتاز بانتشار المساجد والأسبله والكتاتيب والبيوت غير المرتفعة والدكاكين التي تتبع العطارة أو البقالة أو الأقمشة، وبعضها ما زال على حالته إلى الآن.

وقال نجيب محفوظ: "الثلاثية هي تاريخ رب الأسرة السيد أحمد عبد الجواد وأسرته عبر ثلاثة أجيال. وبينما تمدنا بمقدار هائل من التفاصيل السياسية والاجتماعية وتعتبر الثلاثية أيضا دراسة للعلاقات الحميمة بين الرجال والنساء، وأيضا حكاية بحث كمال الابن الأصغر لعبد الجواد عن الخلاص". [2] وقال نجيب محفوظ أيضا: "في الثلاثية كما قلت جزء كبير من نفسي، يتمثل في شخصية كمال عبد الجواد، وكمال لم يدخل إلى الثلاثية اعتباطا، وليس لأنه جزء مني، ولكنه ظهر بهذه الصورة لأنه جزء لا يتجزأ من موضوع الرواية". [3] وقال د. علي الراعي: "إن فن الرواية في بلادنا قد دخل مرحلة التأليف الكبير على يد نجيب محفوظ وإن اليوم الذي يقف فيه المؤلف الروائي العربي على قدم المساواة مع المعلمين الكبار في هذا الفن لم يعد بعيدا، وإن لم يكن قد حل فعلا بظهور الثلاثية للناس". [4] عندما تحدث نجيب محفوظ عن ثلاثيته قال: "في هذه الفترة أخطأت خطأ كبيرا، لم أكرره فيما بعد أبدا في حياتي، في هذه الفترة تحدثت كثيرا عن هذا النوع من الروايات وأفضت في شرح أفكار، ونيتي في كتابتها يوما ما، أحد الأدباء الذين استمعوا إليّ ذهب وشرع في كتابة رواية من هذا النوع، أي رواية أجيال، وأصدرها بعد ستة شهور". [5] لقد لخص د. علي الراعي بعض النقاط المهمة في ثلاثية نجيب محفوظ قال:

أولاً: الهدف الفني الكبير الذي رمى إليه المؤلف من وراء روايته. وهو هدف طويل وعريض وعظيم؛ إنه أراد إحياء دنيا كاملة من الناس، فأفكارها وآراءها وإحساساتها ومميزاتها ومغامراتها ومزاياها ونواقصها. وأراد الإنقاذ حياة كاملة من برائن العدم. وتخليدها إلى الأبد على ذلك الشريط السحري الباعث للحياة الذي نسميه بالعمل الفني.

ثانياً: رسم الشخصيات بطريقة علمية موضوعية ، توازن تاما بين النمو الداخلي والخارجي للشخصية الواحدة.

ثالثاً: عنى هذه الشخصيات في حياتها الداخلية والخارجية ، وتعدد أنواعها وتفرّد كل منها بميزات واضحة محددة

تميزها عن باقي الشخصيات.

رابعاً: نجاح الكاتب في أن يخلق من كل واحدة منها على حدة، ومنها جميعا متسقاً، تؤدي بداياته بطريقة طبيعية

منطقية إلى نهاياته.

خامساً: بناء القصة التي تكمن وراء الرواية بطريقة هندسية وظيفية محضة. فكل ما يذكر في الرواية من أفكار وآراء

وعادات وملامح للشخصيات يؤدي وظيفة معينة خاصة به. وهذه الوظائف الصغيرة مهندسة كلها، بحيث تخدم الهدف العام

للرواية، في نفس الوقت الذي تؤدي فيه وظيفتها العادية بالنسبة إلى الحادثة أو المناسبة.

سادساً: الدهاء الكبير الذي يستخدم به المؤلف هذه التفاصيل ليقدم قصته ، ويبرر مفاجأتها ويخفف من حدة منحنياتها.

سابعاً: الانسجام التام بين شكل الرواية وموضوعها، وبراعة الكاتب في انتقاء الأدوات الفنية الخلقية بخدمة أهدافه دون

التقيد بمدرسة فنية واحدة. [6]

القضايا السياسية والاجتماعية التي تعكسها ثلاثية نجيب محفوظ

إن ثلاثية نجيب محفوظ تشغل ما يزيد على ألف صفحة ، وتغطي فترة ما بين الحربين العالميتين الأولى والثانية في مصر، من خلال تتبع عائلة السيد أحمد عبد الجواد وأبنائه ومعارفه وأصهاره وأحفاده، هي تصور ثلاثة أجيال متتالية ، جيل الآباء، وجيل الأبناء وجيل الأحفاد وترصد التطور الاجتماعي والسياسي بدقة كبيرة ، ولا تكتفي الثلاثية بوصف كل شخصية في مشاعرها وعلاقاتها وطموحاتها وانكسارها ، بل تعكس حالة المجتمع السياسي وتطورها . ومن الثلاثية يتضح لنا ما يعانيه عامة المصريين من الظروف السيئة والقاسية تحت نير الاستعمار البريطاني الذي استغل قيام الحرب العالمية الأولى؛ ليعلن الحماية على مصر ويفرض الأحكام العرفية، ويواجه الاقتصاد المصري لصالحه، وينكل بالسكان، [7] ونفصل ذلك كالاتي :

أولاً: تحكي الثلاثية وقائع الثورة بالتفصيل، فتصور مصر بلداً جديداً تخلقه الثورة ويدفع الجماهير الغضب إلى مواجهة الأعاصير، ونجحت الثورة في تحقيق هدف واحد هو الإفراج عن القائد والزعيم السياسي سعد زغلول ورفاقه. ثم عادت المظاهرات وسار فهمي معها خطوة بخطوة وهو طالب في مدرسة الحقوق التي أطلقت شرارة ثورة 1919، وأصبح يشرف على تجمعات الطلبة كعضو في لجنة الطلبة العليا ثم تسلم راية القيادة لأول مرة فتقدم الصفوف وقاد مظاهرة أدت إلى مقتله، وبموت فهمي تنتهي رواية بين القصرين، التي تلتها روايتي "قصر الشوق و السكرية" وهذه الروايات تشكل ثلاثية نجيب محفوظ التي تعتبر ملحمة تؤرخ لحياة الشعب المصري بين الحربين العالميتين الأولى والثانية.[8]

ثانياً: الثلاثية تُظهر لنا اهتمام هذا السيد الجبار الذي يحمل في داخله كل تناقضات مجتمعه بالأخبار السياسية ويعتبر نفسه وطنياً لا غبار عليه بمواقفه النظرية الخالصة وخاصة عند مطالبة المصريين الإنجليز بالاستقلال، وقيام المظاهرات، وجرائم الإنجليز المحتلين وسقوط العديد من القتلى والجرحى من المصريين المدافعين عن أرضهم ووطنهم، وتوقيع الهدنة في أوروبا.[9] والابن الثاني فهمي السياسي الذي تكتشفه الأسرة تدريجياً، فقد كان عضواً في لجنة الطلبة، وفي إحدى الجمعيات السرية المنتشرة إبان ثورة 1919، وهو من أبناء الحزب الوطني الذي يؤمن بقضية الخلافة الإسلامية وعودة الخديوي عباس إلى حكم مصر، وكان يؤمن النفس بانتصار الألمان كي يخلصوا مصر من الاحتلال الإنجليزي . فإن فهمي لا يحب الاحتلال الإنجليزي، كما قالت أمينة في دعائها: "أسألك الرعاية لسيدي وأبنائي وأمي وياسين والناس جميعاً، مسلمين ونصارى ، وحتى الإنجليزي يا ربي ، وأن تخرجهم من ديارنا إكراماً لفهمي الذي لا يحبهم".[10] وعندما أعلن فهمي أن وكيل الجمعية التشريعية، وبعض الناس طالبوا بسفره إلى لندن سعياً لاستقلال مصر، فإن أمينة أكثر من استغربت هذه المطالبات قائلة: "يذهبون إلى بلاد الإنجليز ليطلبوهم بأن يخرجوا من مصر؟ ليس هذا من الذوق في شيء، كيف تزورني في بيتي ، وأنت تضم طردي من بيتك". وقالت أيضاً: "وكيف يطلبون إخراجهم من ديارنا بعد إقامة طالت هذا الدهر كله ؟ لقد ولدنا وولدتم

وهم في بلادنا، فهل من "الإنسانية" أن نتصدى لهم بعد ذلك العمر الطويل من العشرة والجيرة لنقول لهم بصريح العبارة -وفي بلادنا أيضا - اخرجوا؟". [11] إن السيدة أمينة هي في الرواية تمثل نموذجا للمرأة المصرية من الطبقة المتوسطة ، نجد لها أمثلة كثيرة في المجتمع المصري ، ولكنها تمثل النموذج النمطي المستلَب لأنَّ هناك من الأسر من تسمح للنساء بالحرية، ومن هنا نجد مشاركة النساء في المظاهرات التي حدثت عام 1919، وقد قال عن ذلك الشاعر أحمد شوقي فيما نقله فهمي لأخيه ياسين: [12]

خرج الغواني يحتجن ورحلت أرقب جمعهن
 فإذا بهن اتخذن من سود الثياب شعارهن
 فطلعن مثل كواكب يسطعن في وسط الدجنه
 وأخذن يجترن الطريق ودار سعد قصدهنه

ثالثاً: صورت ثلاثية نجيب محفوظ الأوضاع الاجتماعية المتأثرة بالوضع السياسي والاقتصادي بسبب الحرب العالمية الأولى، وقد أشارت الرواية منذ البداية إلى ذلك، فقد اشتكى أحمد عبد الجواد سوء الوضع كما أشار إلى سوء الأمن بسبب وجود الأعداء في الشوارع واعتداءهم على السكان، وسلبهم حاجاتهم، الأمر الذي منع أحمد عبد الجواد من السهر من الأزبكية وكذا الشأن بالنسبة لابنه ياسين، وعندما وضعت الحرب العالمية أوزارها لم يعد لفرض الحماية على مصر من مبرر، وظهر سعد زغلول مطالباً برفع الحماية والاستقلال وقد اجتمعت مختلف الشرائح والفئات حول سعد زغلول الذي جمع مع رفاهة توكيلا عن الشعب وهكذا تشكل الوفد المصري الذي من مهمته تمثيل الشعب المصري والتف حول الوفد فئات مختلفة أبرزهم فهمي في الرواية الذي يذهب ضحية رصاص غادر عقب إطلاق سراح سعد زغلول ورفاقه.

وقد ظهرت فقط مع جيل الأحفاد وبرزت في الجزء الثالث من الثلاثية "السكرية" وقد جسده أحمد وسوسن "وكأن نجيب محفوظ يريد أن يعرفنا أن الاتجاه الشيوعي في فترة ما بين الحربين لم يكن قاصراً فقط على الرجال، ولكن هناك كثير من النساء أمثال سوسن حماد اللاتي تشبعن بهذه الأفكار". [13]

تنتقد سوسن الاشتراكية الواردة في الإسلام فتقول: "قد يكون في الإسلام اشتراكية ولكنها اشتراكية خيالية .

كالتى بشر بها توماس مور[14] ولويس بلان[15] وسان سيمو، إنه يبحث عن حل للظلم الاجتماعي في ضمير الإنسان ، بينما الحل موجود في تطور المجتمع نفسه، إنه لا ينظر إلى طبقات المجتمع، ولكن إلى أفرادهِ وليس فيه بطبيعة الحال

أية فكرة عن الاشتراكية العلمية وفضلا عن هذا كله فتعاليم الإسلام تستند إلى ميتافيزقا أسطورية تلعب فيها الملائكة دورا خطيرا. [16] وقد قدّم نجيب محفوظ من خلال الثلاثية مسحا اجتماعيا سياسيا بطريقة فنية، من خلال أسرة أحمد عبد الجواد، ونمو هذه الأسرة وتطور شخوصها. لقد انطلقت الثلاثية برواية بين القصرين التي صورت جوانب من الحماية البريطانية على مصر، وصورت سيطرة القيم التقليدية من خلال السيطرة المطلقة للسيد أحمد عبد الجواد، ولكن تلك القيم خفت فيما بعد وروح التحرر تعمقت أكثر في الجزء الثاني من الثلاثية قصر الشوق، كما تغيرت كثير من مظاهر الحياة، فقد استُبدلت المصاييح الغازية بمصاييح الكهرباء، وانتشرت السيارات. أما في الجزء الثالث "السكرية" نجد قيما بديلة وجيلا جديدا يخلف الجيل القديم ويتميز بالانتماء الأيديولوجي والسياسي، والجدير بالإشارة أن نجيب محفوظ لم يكن في الثلاثية واقعا تسجيليا فقط. فقد تجاوز ذلك إلى النقد والتحليل الذي لا يخلو من كشف الشخوص وبالتالي كشف المجتمع من الداخل بطريقة فنية .

المبحث الثاني: ثلاثية باجين

وكان "باجين" هو الآخر صاحب ثلاثية شهيرة عُرفت باسم ثلاثية التيار الجارف "العائلة، الربيع، والخريف"، وهي تشبه ثلاثية نجيب محفوظ كثيرا. تناولت ثلاثية باجين المجتمع الإقطاعي الصيني وطبقة النبلاء، يعبر باجين في التيار الثلاثية عن الحرية والديمقراطية، واحترام الشخصيات. وتحتل موقعا هاما وتلعب دورا كبيرا في تاريخ الأدب الصيني الحديث. انتهى من كتابة الجزء الأخير عام 1940 .

ثلاثية باجين فن ثمين لتسجيل تغيرات المجتمع الصيني في وقت مبكر، ولعبت دور التنوير للعديد من الشباب المثقفين الذين اتجهوا إلى الثورة، وهو لا يدل على الشر والصراع والاضطهاد للعائلة الإقطاعية فقط ، بل يعكس حربا لا هوادة فيها ضد القوات الإقطاعية من شباب الجيل "حركة الرابع من مايو". تمثل ثلاثية باجين أيضا مرحلة هامة في حياة الصين وهي مرحلة الإقطاع بما تحمل وتتضمن من عوامل الزيف والقمع والقهر السائد على الجميع، ولكن يخرج من هذه الأسرة أحد الشباب الثائر المتمرد من أفراد الجيل الجديد، فيثور على تعليمات الجد ويتمرد على واقعه وتبدأ حالة من الغليان تسود الأسرة، وهو تجسيد حي لما حدث حول ثورة 1911 من خلال هذه الثلاثية التي أبدعها باجين، وقدم فيها الصين الثائرة على سوط الجد الإقطاعي الأكبر وكأنه يرسم في العمق سيرة عائلته الإقطاعية الكبيرة المكونة من حوالي خمسين شخصا (من أخ وأخت وأبناء عم وأقارب)، وغيرهم من الخدم وعمال الأرض . وقد وصف باجين هذه الرواية بقوله " : لقد كتبتها لأجعل منها سلاحا ". [17].

وقال باجين أيضا : "كتبت الثلاثية قبل ست وأربعين سنة، ومنذ ذلك الحين، وعلى فترات متباعدة، كتبت عدة مقدمات وخواتيم ومقالات عارضا فيها وجهات نظري في هذه الرواية ، وكان معظمها وصفا لكيفية إقدامي على كتابتها وعرضا لما كانت عليه أفكاري وعواطفي حينذاك. ونادرا ما تعرضت فيما كتبت إلى نقاط الضعف في هذه الثلاثية . لقد بقيت كاتباً مدة عشرين عاما في الصين شبه الإقطاعية وشبه المستعمرة . وكتبت ملايين المقاطع الصينية، لقد استطعت رؤية مساوئ المجتمع القديم ولكنني عجزت عن وصف العلاج الشافي . فإن رواياتي التي كانت تعج بالتفجع والأنين، وشخصياتي التي كانت تسير في عجز ويأس نحو مصارعها قد ألقت على قلوب قرائي حجابا كثيفا من ليل بارد طويل. [18] ثلاثية باجين هي رواية مثيرة لقلوب الناس، يعترف بها معظم العلماء على أنها رواية ممتازة. [19] وصفت ثلاثية باجين تاريخ الصين في الفترة الانتقالية من الأوقات العصيبة المضطربة على خلفية مدينة تشنغداو. [20] ووصفت عائلة إقطاعية نحو التمايز والانخفاض من أربعة أجيال الحياة في الأسرة الكبيرة 1919م . وعبر عن تصدع أسرة إقطاعية كبيرة وانهيار كيائها، وآثام نظام الأبوة في إزهاق روح الشباب الناضر، وبقظة جيل الشباب ونضالهم وحتمية انهيار القواعد الملكية الإقطاعية في نهاية الأمر .

كما صورت الثلاثية انهيار قوة كبيرة من النظام الأبوي الإقطاعي والاتجاه الثوري للشباب الذي انطلق إلى تغيير الحياة القديمة . ولقد قال باجين بعد نشر الثلاثية : " لم أكف يوما عن محاربة أعدائي بقلمى . فماذا عساها أن تكون هذه الأعداء؟ . إنها تحيزات تراث متخلف، إنها كل هذه النظريات اللامعقولة التي تعوق تفتح الإنسان وتقدم المجتمع، إنها جميع القوى التي تقوض الحب، تلك هي أعدائي ! ولقد بقيت منذ ذلك اليوم على موقعي هذا أرفض أي تراجع وأي حل وسط ". [21] وقال الكاتب سون قوه هوا : "أشعر بأن ثلاثية باجين "الأسرة" و"الربيع" و"الخريف" تعرض تماما الحياة الفاسدة للإقطاعية، ويتعاطف مع آلام أجيال الشباب ويطالبونهم بالخروج والتمرد للمقاومة، ورأينا المجتمع المظلم والضرورة الثورية في ذلك العصر. [22] كشفت أعمال الرواية في وصف مأساة جيل الشباب وكذلك كشفت السبب الأصلي لهذه المأساة .

وما تمتاز به رواية الأسرة واقعيته وقوة تأثيرها . فقد صورت هذه الرواية تصويرا دقيقا سيطرة القوة المستبدة على الأسرة المتعطشة إلى الديمقراطية في ظل استبداد رب الأسرة الإقطاعي، صيحات تمثل صوت عامة أبناء الشعب في الصين القديم والرواية كذلك اكتسبت بواقعيته وجمال أسلوبها ثناء الجم الغفير من القراء. فقد قال باجين قبل كتابة رواية "الربيع" بعدة أعوام: "أسرة بطلتها فتاة حاولت الانتحار، وحاولت الهرب، وناضلت بشتى الطرق حتى نالت حقها في طلب العلم وفي الحرية، ومن ثم غادرت أسرتها الكبيرة التي تحكمها قوة مستبدة متعفنة". [23] وأنجز باجين رواية "الربيع" بعد رواية الأسرة، واستخدم باجين أسلوب المغامرة عند وصف تطور شوينغ الفتاة شو ينغ من الطاعة العمياء إلى اليقظة ثم هجران البيت خفية ، ثم ماتت كمدا. بهذا الأسلوب استطاع الكاتب أن يثير في نفوس القراء العطف البالغ على الفتيات اللاتي يتعرضن للأذى والاضطهاد في ظل نظام الأبوة الإقطاعي. وأيضا استعان باجين بأسلوب المغامرة في وصف شخصيات الرواية من الرجال، فإن جيو مين وأخوه الأكبر جيويه شين يستيقظان ويحاولان التخلص من سيطرة القواعد الملكية الإقطاعية. وأنجز باجين رواية الخريف خلال سبعة أشهر. صوّر فيها نهاية "أسرة"، مات السيد الثالث رب الأسرة من شدة الغيظ والحنق على أخويه العابثين المبذرين، ثم بيعت الدار الكبيرة وأنهار كيان الأسرة وتشتت شملها، إن شباب الأسرة الذين قاوموا وناضلوا قد نجح بعضهم في نضالهم ونالوا ما يأملون. وقد تم عقد الخطبة بين جيويه مين وحبيبته تشين، ودخلت شو هوا المدرسة. قال د. تشا تشي تشينغ: "الخريف هو عمل عظيم في الروايات الصينية الحديثة ، ويمكنه أن يمارس القوة لإثارة قلوب الناس . [24] قال د. تشيا تشي تشينغ في كتابه "تاريخ الروايات المعاصرة : "الثلاثية هي أجمل العمل لباجين وهي أطول وأروع تحفة أدبية في الروايات الحديثة ". [25] لقد عانى باجين معاناة شديدة لأنه وقف ضد الظلم والاضطهاد، وحرّم من أبسط الحقوق المدنية للإنسان، ومنع من الكتابة لأنه حاول أن يمنح قارئه بصيص من النور، في هذا الظلام الدامس، ووقفت منه الثورة الثقافية الكبرى موقفا عدائيا، ولكنه بقوة إرادته وتصميمه الشديد على بلوغ أقصى غايات وأهداف توجهاته الأدبية والإبداعية أخذ في الكتابة، وكان يقول: "لم

أكن أهتم في ممارستي لمهنتي، بأسلوب ولا بمهارة أو فن . فكل ما يهمني هو أن أكون في عون قرائي وأن أصلح الإنسان وأجمل حياته وأفي بما علي من دين للمجتمع وللشعب". [26] عندما تحدث باجين عن نيته في كتابة الثلاثية قال: "أريد أن أصف هذه الأسرة كيف تنهار، وكيف تدخل "القبور" التي حفروها بأيدهم. وسأذكر في الرواية الصراع والنضال والمأساة، وكيف يتحمل الناس المعاناة والنضال ويقابلون الموت في آخر الوقت. [27]

القضايا السياسية والاجتماعية التي تعكسها ثلاثية باجين

القضايا السياسية والاجتماعية موجودة في كافة المجتمعات، فهناك علاقة تأثير وتأثر بين تطور الأدب من ناحية وبين التطور السياسي والاجتماعي من ناحية أخرى، فعندما يسعى المجتمع للحصول على حريته واستقلاله وتحقيق هويته فإنه يواجه تحديات قومية لا بد من مواجهتها، والأديب بلا شك يجب أن يستجيب لهذه التحديات، وأن يبذل قصارى جهده لتحقيق هذه الأهداف العظيمة التي يسعى المجتمع كله لتحقيقها، فإن الأديب الحقيقي هو الذي يهدف من وراء كل كلمة يخطها بقلمه إلى إعلاء قيم نبيلة وغايات سامية. ويقول الأستاذ عز الدين إسماعيل الناقد والأديب الكبير في كتابه "الأدب وفنونه: "إننا يجب أن نعي موقف الأديب من مجتمعه، فالأديب بلا شك له شخصيته وسماته الخاصة ولكن هذه الشخصية لا يمكن أن تتحقق بعيدا عن المجموع، وموهبته الإبداعية إذا لم يكن لها تأثيرها على المجموع تصبح بلا قيمة، فقيمة الأدب هي نفسها القيمة الاجتماعية والإنسانية". [28]

وفي مقولة شهيرة لتوفيق الحكيم في كتابه "فن الأدب" قال : " إن الأديب الحقيقي هو وليد البيئة والعصر الذي يعيش فيه، وإلا صار الأدب شيئا بعيدا تماما عن العصر وعن حياة البشرية. ليس هناك كاتب أو أديب يمكنه أن يتجاهل ما يدور حوله من أحداث عامة، فهذه الأحداث تؤثر في وجوده وفي روحه وإذا لم يستمع الأديب إلى الأصوات التي تدوي من حوله فإنه يخون رسالة القلم . فليس على الأديب فقط الاستجابة لهذه الأصوات والنداءات بل يجب عليه أن يضيف إليها قوة من روحه وأفكاره تساعد المجتمع الذي يعيش فيه على أن يتلمس طريقه نحو الحرية التي هي حلمه الأبدى". [29] تمثل ثلاثية باجين مرحلة مهمة في حياة الصين وهي مرحلة الإقطاع بما تحمل وتتضمن من عوامل الزيف والقمع والقهر السائد على الجميع، ولكن يخرج من هذه الأسرة أحد الشباب الثائر المتمرد من أفراد الجيل الجديد،

خلاصة القول أن ثلاثيتي نجيب محفوظ وباجين تمتازان بإيقاع روحي وقوي للاقوام، كما ذكر باجين: "لقد عانيت وتأثرت... بأولئك الذين لا يستطيعون أن يفهموا ما أكتب. بل يختلقونني من خيالهم ويهاجموني علنا وسرا، لأن رواياتي تؤدي إلى كثير من سوء التفاهم. لقد حكموا علي طبقا لإحدى قصصي القصيرة، عامدين إلى حزمة من الاستنتاجات الغريبة ومقررين

إلى أي مذهب انتمي". [30] ثلاثية باجين ونجيب محفوظ تكشفان عن صورة تاريخية وصورة وضعية لحركة التحرير واستقلال الأمة الشرقية في أوائل القرن العشرين . والمسؤولية الأخلاقية والكمال الأخلاقي للثقافة الكونفوشوسية الصينية والعدل والكرم والمثابرة للثقافة التقليدية المصرية وما إلى ذلك تشكل المحتويات المحددة لحب الوطن، ويعكس روح حب الوطن على أجسام جو هوي وفهمي ، سجد من هذه الشخصيات التي وصفها نجيب محفوظ وباجين أمل إحياء الأمة والوطن. التشابه في ثلاثيتهما يتمحور في أن كلا الأدبيين كتب ثلاثيته كي يتحدث عن عالمه، ويظهر ما عايشه وما رآه في موطنه، فمحفوظ تحدث في ثلاثيته عن القاهرة بالتحديد حي الحسين الذي يعتبر مسرح الأحداث معبرا عن القاهرة إبان ثورة 1919، والتحول الاجتماعي والطبقي الذي استمر وصولا إلى ثورة يوليو، محققا ذلك بتتبع قصة حياة الشاب "كمال ابن السيد أحمد عبد الجواد" من الطفولة وحتى المراهقة والشباب، و"باجين" هو الآخر كتب الثلاثية للسبب نفسه، حتى يُظهر ما كانت تعيشه الصين قبل ثورة 1911، التي قامت على يد الزعيم الصيني العظيم الدكتور صن يات صن، حيث صور قبح المجتمع الإقطاعي الذي نبذه رغم أنه كان منتشيا إليه بحكم العائلة، لأن والده كان موظفا حكوميا إقطاعيا، لكنه عارض الفكر الإقطاعي، لأنه كان متأثرا بالفكر الديمقراطي الغربي، الذي رآه أثناء إقامته في فرنسا. في ثلاثيته، يجسد باجين حياة أسرة يحكمها الجد الإقطاعي الأكبر، الذي كان الأمر الناهي في البيت، ولا يجزؤ أحد على مخالفة أوامره، وكان متحكما في أسرة كبيرة، إلى جانب خدم وفلاحين، وبذلك كانت هذه الشخصية تشبه شخصية "سي السيد" في ثلاثية محفوظ، وتبدأ الأحداث في التعقيد والإثارة عندما يرفض أحد أبناء الأسرة هذا الوضع، فيدخل البيت في حالة الغليان، وصراع بين أفراد الأسرة، ولا يمكن أن نغفل وجود بعض الفروق البسيطة بين العاملين بحكم اختلاف الفكر والثقافات.

باجين ونجيب محفوظ ، [31] هما أول من وصف صور الحياة الأسرية في الثلاثية في تاريخ أدب الصين ومصر. خلقوا من أعمالهم السياسية والأرستقراطيين والتجار والطلاب والعلماء والمتقنين والثوريين والموظفين والخدم والعاهرات وغيرهم من نماذج وأشكال مختلفة من البشر. وعرضوا للقراء الصورة الملونة من الناس من مختلف الطبقات. وكل هذا يدور حول الحياة الأسرية، تم وصفها من قبل الأسرة الشرقية التقليدية الذين يعيشون مع الأهل والوالدين تحت الجوّ الأبوي الصارم. تحتجز العائلة النظام الهرمي لأخلاق الثقافة الكونفوشوسية والثقافة الإسلامية تحت تأثير والتحديات من أفكار الثقافة الغربية . ومع ذلك فإن هذا النظام أي نظام العائلة لم يكن قويا وخطرا من التخريب في أي وقت بأيدي الشباب الذين تحت قيود الفكرة والحرية . ومع ذلك ظهرت أعمالهم الثلاثية على الإعتماد على الأسرة وظهرت الرحمة للمستبدين الإقطاعيين والمتمردين، وفهم طاعة الوالدين الإقطاعي للمتمردين .وما إلى ذلك ثلاثيته تعطينا الشعور وهي: العائلة لديها شدة وقيود ولكنها لا ينقصها الدفئ والسعادة .

ثلاثية نجيب محفوظ وباجين أظهرتا لجرائم التي صنعتها العائلة الاستبدادية الإقطاعية وتقوم بانتقادات شديدة لنظام الأخلاق القديمة . ومع ذلك إذاً فإننا عندما نقرأ ثلاثيتهم سنجد فيها أن هذه الكراهية نشأت بسبب الحب، الكراهية هي الطبيعة العقلانية والحب يأتي من العاطفة وهذا هو التناقض الذي ظهر في ثلاثيتهما يأتي من معرفة الأسرة فكراً، هم يعرفون المخاطر للعائلة الاستبدادية الإقطاعية وينتقد هذا الضرر البدني والنفسي الذي يأتي به نظام الإقطاع . وهذه العاطفة بين الكراهية والحب تكشف عند الكاتبين حبا عميقا لثقافات التقليدية . يمكن أن نقول : "الحزين لم يصب بالأذى ويشكو بدون غضب" وهذا الأسلوب الثقافي الشرقي يشكل المشاعر العالقة لهذه الرواية . اعتمد نجيب محفوظ وباجين في ثلاثيتهما أسلوب المطابقة التقليدية في أدب الصين والعرب، والطباق الكلي: ثلاثيتهما مليئة بالطباق الشديد بين القديم والجديد، بين الكراهية والحب. مثل الاستبداد داخل العائلة، حرية الشباب في خارج المنزل . الجيل القديم أحمد عبد الجواد وسيد قاو، والشباب جو هوي وفهمي، وهذا الطباق بين هذه الأشياء بوضوح تعبير عن تماثل موقف المؤلف باجين ونجيب محفوظ في الحب والكراهية سواء في الصواب والخطأ. مثل وصف جو هوي في ثلاثية باجين الحماس والجريئة والجنونية والنضارة ووصف فهمي في ثلاثية نجيب محفوظ بالنزاهة والشجاعة وروح التضحية إلخ، كل هذا يجعل الشخصيات التي وصفها الكاتب أكثر وضوحا وحيوية. وفي النهاية نرى إن باجين ونجيب محفوظ قد ورثا التقاليد الأصلية والواضحة لروايات العرب والصين في فن اللغة . فلغة ثلاثيتهما بسيطة ومسللة وطبيعية وسهلة الفهم ، وتنقل أفكارهم الخاصة ومشاعرهم إلى القارئ بوضوح .

الخاتمة والنتائج

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين
..وبعد :

فقد تبين من خلال هذه الدراسة ثلاثية نجيب محفوظ وباجين حيث كانت انعكاسا للواقع المعيش في مصر والصين، كما كشفت الروايات عن القدرة الإبداعية لدى الكاتب من حيث دقة التصوير. وفيه كشف لإمكانات القاص الفنية عند رسم الشخصية وعنايته بأسلوب الكتابة والفنية .

ولقد خالصنا في هذا البحث إلى النتائج الآتية :

- كشفت هذه الدراسة القضايا التي تعكسها في ثلاثية نجيب محفوظ وباجين
- قدم نجيب محفوظ وباجين عدة صور متعددة ومتنوعة في رواياتهم، ومعرفة من تلك الصورة في مجتمع له خصوصيات وعادات وتقاليد .
- من خلال استعراض نتاج ثلاثيتي نجيب محفوظ وباجين، اتضح لي أنهما عملا على استنباط أفكار جديدة في هذا العصر من خلال روايتهما .
- تجلت ثلاثيتي نجيب محفوظ وباجين أنواع متعددة ومختلف من الفنون سواء على الصعيد الفكري أو الأدبي أو السياسي أو الاجتماعي.

قائمة المصادر والمراجع:

- [1] أتحدث إليكم ، نجيب محفوظ ، الناشر دار العودة ، بيروت ، 2006م . ص 11.
- [2] دراسات في الرواية المصرية، د علي الراعي . الثقافة والإرشاد القومي المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، تاريخ النشر : 1964م ، ص 63.
- [3] المجلة العربي . قصوة الذاكرة ، تأليف أودارد سعيد ، ترجمة : ولاء فتحي ، 2006م ، العدد 577 . ص 89.
- [4] نجيب محفوظ صفحات من مذكراته وأضواء جديدة على أدبه وحياته ، الطبعة الأولى 1998م ، الناشر : مركز الأهرام للترجمة والنشر مؤسسة الأهرام ، ص 64.
- [5] دراسات في الرواية المصرية، د علي الراعي . الثقافة والإرشاد القومي المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، تاريخ النشر : 1964م . ص 11.
- [6] نجيب محفوظ صفحات من مذكراته وأضواء جديدة على أدبه وحياته ، الطبعة الأولى 1998م ، الناشر : مركز الأهرام للترجمة والنشر مؤسسة الأهرام ص 65
- [7] دراسات في الرواية المصرية، د علي الراعي . الثقافة والإرشاد القومي المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، تاريخ النشر : 1964م . ص 21.
- [8] الحركة الاجتماعية والتطور السياسي في ثلاثية نجيب محفوظ من الوعي الفعلي إلى الوعي الممكن . تأليفه : الأستاذ الدكتور صالح مفقودة كلية الآداب واللغات جامعة محمد خيضر بسكرة 2011م . ص 3 .
- [9] المصدر السابق ، ص 4 .
- [10] الحركة الاجتماعية والتطور السياسي في ثلاثية نجيب محفوظ من الوعي الفعلي إلى الوعي الممكن . تأليفه : الأستاذ الدكتور صالح مفقودة كلية الآداب واللغات جامعة محمد خيضر بسكرة 2011م . ص 5 .
- [11] بين القصيرين تأليفه نجيب محفوظ ، الطبعة الأولى 1956م ، دار الشروق ، ص 37 .
- [12] بين القصيرين تأليفه نجيب محفوظ ، الطبعة الأولى 1956م ، دار الشروق ، ص 307 .
- [13] الحركة الاجتماعية والتطور السياسي في ثلاثية نجيب محفوظ من الوعي الفعلي إلى الوعي الممكن . تأليفه : الأستاذ الدكتور صالح مفقودة كلية الآداب واللغات جامعة محمد خيضر بسكرة 2011م ، ص 18.
- [14] علم اجتماع الأدب " النظرية والمنهج ولموضوع " محمد علي البدوي ، الطبعة الأولى 2011م ، دار المعرفة الجامعية ، ص 371.
- [15] لسير توماس مور ؛ 7 فبراير 1478 - 6 يوليو 1535 كان قائدا سياسيا ومؤلفا وعالما انجليزيا عاش في القرن 16 . يتذكر عادة لمفهوم اليوتوبيا أو المدينة الفاضلة في كتابه اليوتوبيا . وهو قديس حسب الكنيسة الكاثوليكية الرومانية.
- [16] لويس بلان 29 أكتوبر 1811 في مدريد 6 - ديسمبر 1882 ، وهو أحد الاقتصاديين الاشتراكيين الفرنسيين الذين كانوا يدعون إلى المذهب الاشتراكي قبل ظهور كارل ماركس، وقد دعا لويس إلى إنشاء مصانع وطنية لتشغيل العمال على أن ينتخب هؤلاء العمال رؤسائهم. ويقتصر تدخل الدولة في بداية تأسيس هذه المصانع على تقديم المعونات المادية اللازمة لها. وبعد أن تنتشر هذه المصانع تكون قد قضت على المشاريع الرأسمالية بصورة تدريجية.
- [17] السكرية ، نجيب محفوظ . الطبعة دار الشروق الأولى 2006م ، ص 261.
- [18] باجين ومذكراته ، تأليفه باجين ، دار مكتبة شايف هاي ، الطبعة الأولى 2008م . ص 6.
- [19] الأسرة ، باجين ، دار النشر باللغات الأجنبية بكين ، تاريخ النشر : 1984م ، الطبعة الأولى . ص 1 .
- [20] نقد ثلاثية باجين ، تأليفه جماعة بحث لباجين ، الناشر : مكتبة جامعة بكين ، تاريخ النشر : 1959م . ص 54.
- [21] تشنغدو ، أحد أهم وأكبر مدن الصين . تقع المدينة في الجنوب الغرب من البلاد في قطاع سيشوان كما أنها عاصمة المقطاعة . تشنغدو هي أحد أهم المراكز التجارية والنقل والاتصالات في البلاد . تعتبر مدينة تشنغدو مدينة الحرية وراحة البال ، بسبب ظروف الطبيعة الفريدة
- [22] باجين ومذكراته ، تأليفه باجين ، دار مكتبة شايف هاي ، الطبعة الأولى 2008م . ص 15.
- [23] نظرية ثلاثية باجين ، تأليفه دونغ ها قوه . ناشر : صحيفة الجامعة الفجرية ، نشر التاريخ : 2013م . ص 1.
- [24] الأسرة ، باجين ، دار النشر باللغات الأجنبية بكين ، تاريخ النشر : 1984م ، الطبعة الأولى ، ص 4 .
- [25] تاريخ الروايات المعاصر ، تأليفه تشا تشي تشنيغ ، الناشر : جامعة فو دان الصيني ، تاريخ النشر : 2005م . ص 218
- [26] المصدر السابق . ص 214

- [27] الأسرة، باجين، دار النشر باللغات الأجنبية بكين، تاريخ النشر: 1984م، الطبعة الأولى، ص 11.
- [28] الأسرة، باجين، دار النشر باللغات الأجنبية بكين، تاريخ النشر: 1984م، الطبعة الأولى، ص 4.
- [29] الأدب وفنونه، تأليف عز الدين إسماعيل، دار الفكر العربي - القاهرة، الطبعة التاسعة 2004م، ص 17.
- [30] فن الأدب، توفيق الحكيم، الناشر دار مصر للطباعة، الهيئة العامة لمكتبة الاسكندرية، 2002م، ص 112.
- [31] باجين ومذكراته، تأليفه باجين، دار مكتبة شايغ هاي، الطبعة الأولى 2008م ص 6.